ندوة نظمها المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار"

"الثقافة الإسرائيلية بين التنوع والهيمنة"

عقد المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية "مدار" في مقره يوم ٨ شباط ٢٠٠٥، ندوة بعنوان "الثقافة الإسرائيلية بين التنوع والهيمنة" حاضر فيها الأديب والكاتب سلمان ناطور – مدير دائرة "مجلة قضايا إسرائيلية" – بحضور عدد من السياسيين والباحثين والمهتمين وذلك بمناسبة صدور الكتابين: "مختارات من القصص الإسرائيلية" و "ما أروع هذه الحرب". عن «مدار» وهما من إعداد وترجمة ناطور، هنا نص المحاضرة التي القيت في الندوة:

سأبدأ محاضرتي بقصيدة للشاعر الإسرائيلي روني سوميك وهو من الشعراء الشباب المنحدر من أصل عراقي، وأعتقد أنه في قصيدته القصيرة يُعّبر بشكل مكثف جداً عن حالة الكاتب الإسرائيلي ورؤية المثقف الإسرائيلي لذاته.

اسم القصيدة "الدليل الأحمر لكلمة الغروب". يقول سوميك:

"الشاعر الفرنسي يرى احمرار الشمس فيعصر من عنب الغيوم لون الخمر

الشاعر الإنجليزي يُشبهها بالوردة ...

والعبري بالدم...

يا بلادي أيتها البلاد التي تغرس شفتيها المتوحشتين

في عنق الغروب العذري

أسواط الرعد تُكبّل ذراعي...

وأنا في سفينة حياتي...أُبحر مثل نوح إلى جبال الأراراط".

(من مجموعة: من بياليك الى عميحاي: مختارات من الشعر العبري المعاصر، مركز أوغاريت للنشر رام الله ٢٠٠٠)

بعد حوالي ٦٠ عاما على قيام إسرائيل وبعد أكثر من ١٠٠ عام على قيام الحركة الصهيونية... هذه القصيدة وكثير من النصوص أو معظم النصوص الأدبية للكتّاب الإسرائيليين فيها تعبير واضح عن مأزق أخلاقي في الثقافة العبرية الإسرائيلية

واليهودية بشكل خاص...وسأحاول في محاضرتي هذه الكشف عن هذا المأزق الأخلاقي.

عندما بدأت الحركة الصهيونية نشاطها في فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر، وضعت مشروعاً ثقافياً إلى جانب مشروع احتلال الأرض واحتلال العمل في فلسطين، ولم تأت الحركة الصهيونية لتقوم بنشاط في فلسطين إلاّ مع مشروع ثقافي وهذا كان مصدر قوتها وكان مصدر تأثيرها على الرأي العام العالمي، أي توظيف الثقافة لبناء مشروع قومي توسعي وكولونيالي في صلب أهدافه، فقد أرسلت الكثير من الكتّاب الذين عاشوا في أوروبا وروسيا وفي شرق أوروبا وحتى في غرب أوروبا، أرسلتهم إلى فلسطين ليكتبوا عن هذه البلاد ومنهم كتّاب معروفون كبار مثل(أيحاد هعام، تسفي افشتاين) وحتى هرتسل بنفسه جاء إلى فلسطين عام ١٨٩٨ وكتب كتاباً عن فلسطين باللغة الألمانية هو عبارة عن رواية يصف فيها أرض الميعاد "ألطنايلاند" صدرت عام ١٩٠٢ وصف حالة التخلف في فلسطين وانتظارها لمن "سيخلصها من هذه الحالة" ... ونحن عندما نتحدث اليوم عن أدبيات الحركة الصهيونية أنها صوّرت البلاد على أنها كانت مستنقعات وعلى أنها كانت صحراء جافة... فهذا المصدر لهذا القول يعود إلى أدبيات الحركة الصهيونية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين... لأن عددا كبيرا من هؤلاء الكتّاب (أوفدت ليس فقط من اليهود بل أوفدت أيضاً كتّابا من غير اليهود)، وصفوا هذه البلاد على أنها صحراء قاحلة وعلى أنها مستنقعات وإذا تحدثوا عن شعب أو عن أُناس يعيشون في هذه البلاد، تحدثوا عن بدو رُحّل. الكاتب الوحيد الذي كتب بشيء معقول وكتب عن مجموعة سكانية ذات خصوصية وذات ثقافة... كان الكاتب اليهودي (إيحاد هعام)، الذي زار فلسطين عام ١٨٩١ وكتب مقالا بعنوان "الحقيقة من أرض إسرائيل" نفى فيه تصوير العرب سكان البلاد على أنهم متخلفون، فقد كتب أن سكان المدن هم تجار وموظفون وحرفيون ومتعلمون وهم مثل الأوروبيين وقد أهملت الصهيونية كتاباته هذه ولم تقتبسها فيما بعد...وهكذا تعاملت أيضا مع كاتب ومرب اسمه تسفي افشتاين الذي حذر من الاستهانة بشعب هذه البلاد ووصف العرب أنهم شعب حيوي وأنه لم يمت، فضّلوا اقتباس كتاب مثل موشي سميلانسكي (١٨٧٤-١٩٥٣) ويوسف برينر (١٨٨١ - ١٩٢١) الذي وصف شعبها أنه بلا ثقافة ،

وكان الهدف بوصف هذه البلاد على أنها صحراء قاحلة وعلى أنها مستنقعات إقناع الرأي العام الأوروبي والعالمي بأهمية قيام الدولة اليهودية "الحضارية" في فلسطين لتكون كما وصفها (هرتسل) محطة للغرب المتمدن كي يصل إلى الشرق المتخلف وكذلك تسهيل عملية التغلغل اليهودي الصهيوني في فلسطين، وفيما بعد في ٤٨ تم تشريد شعب فلسطين، ولم تحدث النكبة التي حلّت بالشعب الفلسطيني الصدى اللازم في الرأي العام العالمي، لأن تُصّور العالم في الغرب كان أن هذه صحراء قاحلة، والناس الذين يعيشون في هذه البلاد لا يستحقون الحياة، غير حضاريين، وقيام الدولة اليهودية في فلسطين يساعد هذه الحركة الجديدة التي بدأت نشاطها في بداية القرن العشرين علىأن تكون قاعدة للحضارة الغربية في الشرق، أو محطة للحضارة كي تصل إلىالشرق الأبعد.

إذن الحركة الصهيونية جاءت مع مشروع ثقافي إلى هذه البلاد كي يخدم أهدافها السياسية وليخدم مشروعها العام .

لم يقتصر النشاط الثقافي الصهيوني في هذه المرحلة وما تلاها على الأدب والصحافة، بل تعداهما الى المسرح والسينما والعلوم، نذكر أنه في أوائل سنوات العشرين أُقيمت الجامعة العبرية في القدس ومعهد التكنولوجيا التخنيون في حيفا- وبدأت تُحضر الأدمغة اليهودية إلى هذه المؤسسات، التي استوعبت الأدمغة اليهودية الأوروبية وغيرها وصارت تنشط وتنتج في المجال الأكاديمي، وفي ذلك الوقت أيضاً بدأت مؤسسات صهيونية بإصدار صحف باللغة العبرية والقيام بنشاطات ثقافية في مواقع مختلفة سكنوا فيها إما في المدن أو في المستوطنات وفي غيرها من المواقع، كان النشاط الثقافي اليهودي قبل العام ١٩٤٨ في فلسطين متنوعا، وفي الوقت ذاته أُقيمت فعاليات ثقافية خارج البلاد كانت معدة بعد قيام الدولة لأن تأتي إلى هنا وتنشط، مثلاً مسرح "هبيما" الذي أقيم في موسكو وكان جاهزا كطاقم وكمخرجين وككتاب، ليحضر إلى تل أبيب وليصبح فيما بعد – المسرح القومي الإسرائيلي- مؤسسات كثيرة أُقيمت طبعاً، دور نشر بدأت تنشر باللغة العبرية، وكان مشروع إحياء اللغة العبرية هو المشروع الأساس للحركة الصهيونية لأنهم كانوا يدركون أن تجمع يهود العالم في هذه المنطقة يتم على أساسين... أولاً على الدين اليهودي وثانياً على اللغة العبرية، كما حددها دافيد بن غوريون في سياسته التي أعلنها وهي أن تتحول إسرائيل إلى

أنه لا توجد ثقافة إسرائيلية ولا توجد ثقافة عبرية وهي ليست ذات مستوى، هذا غير دقيق، يوجد ثقافة متطورة في إسرائيل والدولة تهتم بتطوير ودعم هذه الثقافة في الجامعات والمراكز والمؤسسات التربوية، أرباب الدولة يهتمون جداً بثقافتهم لأنهم يعرفون أهمية الثقافة وتأثيرها على وجودهم وفي عملهم السياسي وتأثيرهم على العالم...يعملون كثيراً للترويج لهذه الثقافة العبرية، ولترجمة هذه الثقافة في العالم، هناك معهد ترجمة الأدب العبري في رمات جان، يترجم النصوص، ويترجم الأدب العبري إلى حوالي ٤٠ لغة من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب

كوة صهر.. مصهّرة لليهود من أجل خلق اليهودي العبري الجديد، على أساس الدين اليهودي وعلى اللغة العبرية وعلى الإنتماء إلى إسرائيل كدولة الشعب اليهودي... ولهذا السبب كان العنصر الثقافي مرّكزياً في خلق الشخصية اليهودية.

السؤال الذي يُطرح دائماً في سياق الحديث عن الثقافة الإسرائيلية.. هل هي متعددة الثقافات؟ هل في إسرائيل تعددية ثقافية بالمعنى الحداثي للكلمة؟

مع أن اللغة العبرية هي اللغة الأساس، ولكن في إسرائيل تشكيلة من الإنتماءات الثقافية، فهي تجمع أكثر من ٥٠ قومية ولغة... وهذا التجمع فيه من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب، فيه من كافة المجتمعات وكل مجموعة سكانية، بغض النظر عن عددها، جاءت مع ما تحمله من ثقافة وما تحمل من لغة. حسب برنامج بن غوريون، كان يجب أن تنصهر هذه الثقافات في ثقافة واحدة وهي الثقافة العبرية الإسرائيلية الجديدة. لم ينجح بن غوريون في عملية الصهر... صحيح أن اللغة العبرية هي لغة تطورت كثيراً، وأصبح لها رصيدها من النتاج، هي لغة خلقت أجيالا جيدة، وهي لغة تتطور باستمرار، لغة متحركة وليست جامدة، هي تلائم نفسها للظروف المتغيرة وقادرة على التحديث اللغوي، إن كان بتوظيف الكلمات الأجنبية من اللغات الأوروبية أو حتى من اللغة العربية ومن لغات أخرى... في اللغة العبرية نفسها هناك أحياناً تحديث بالكلمات، استعمالات لم تكن من قبل، وهي لغة تعيش وتتجدد كل الوقت. ومع كل ذلك مازالت إسرائيل ثقافياً تعتبر تشكيلة من الثقافات وهي غير متجانسة وتهيمن عليها ثقافة سلطوية هي الثقافة الأشكنازية، أي ثقافة يهود شرق أوروبا.

لا توجد سياسة ثقافية لإسرائيل، أي أنه ليس هناك برنامج ثقافي سياسي لحكومة إسرائيل من عام ١٩٤٨ والى اليوم ، ولكن يوجد هناك ثقافة مسيّسة... الثقافة الإسرائيلية هي ثقافة مسيّسة لأنها وضعت لتخدم السياسة... وهذا واضح في مناهج التعليم، واضح في تعريف الثقافة الإسرائيلية واضح في المؤسسات الثقافية التي قامت لترعى الثقافة الإسرائيلية...

الثقافة الإسرائيلية تقوم منذ نشأتها حتى اليوم على ثلاث قيم أو على ثلاثة مركبات أساسية هي: اليهودية كدين وقومية، الصهيونية كفكر وأيديولوجيا والثقافة الغربية كحضارة، هذا هو الاتجاه الأساس في الثقافة الإسرائيلية، والإسرائيليون منذ العام ١٩٤٨ كانوا يؤكدون بشكل واضح على أن الطابع العام للثقافة الإسرائيلية يجب أن يكون غربيا، وفي استطلاع أجراه بروفسور الياهو كاتس عام ١٩٩٨ وصدر فيما بعد باسم "تقرير براخا" عن الثقافة الإسرائيلية، أجرى استطلاعا بين الإسرائيليين حول الاتجاه والطابع الذي يريده الإسرائيليون لثقافتهم فأكد ٦٥٪ من الإسرائيليين على أنهم يريدون أن تكون الثقافة الإسرائيلية ذات مركبات واتجاهات غربية. حتى من بين اليهود الشرقيين ٥٠٪ يطلبون أن تكون ثقافة غربية.

كيف هيمنت الثقافة الأشكنازية ؟

أولا: القيادة الصهيونية المتنفذة كانت أشكنازية وبطبيعة الحال كانت المؤثرة في الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، أضف الى ذلك أن المبدعين و الكتّاب و المثقفين الذين جاءوا من أوروبا وبالأساس من شرق أوروبا، كانوا الأقوى وكانوا المسيطرين على المؤسسات الثقافية في البلاد...

ثانيا: الذين قدموا من الغرب وخاصة من شرق أوروبا، قدموا

بعقلية كولونيالية، عقلية إستعلائية على ثقافة الشرق، ولهذا السبب ما زالوا حتى اليوم ينظرون الى كل ما هو شرقي على أنه متخلف، ولم يسمح لثقافات أو لغات بداخل المجتمع الإسرائيلي غير غربية أن تتنفس أو أن تعطي إمكانية الحركة والتحرك الا على أساس فولكلوري، وبشكل خاص الطوائف اليهودية الشرقية التي لم ينجحوا في طمس كل جذورها العربية أو الشرقية ولهذا السبب تعاملوا معها بشكل فولكلوري فأبقوا مثلاً احتفالات الميمونة عند اليهود المغاربة، والسهرانة عند الأكراد... هذه الأشياء المتعلقة بالفلكلور بالأكل واللباس، ولكن ليس بالثقافة وليس بالأدب... في ما بعد سنوات الثمانين وسنوات التسعين، بدأ جيل جديد من اليهود الشرقيين من كتّاب ومن شعراء ومن مغنين وفنانين ورسامين والجيل الثاني والثالث من اليهود الذين هاجروا إلىالبلاد بدأوا ينظرون إلىالواقع بشكل مختلف... وأستطيع أن أقول أن هناك حركة ثقافية تنشط بين الشرقيين فيها شيء من التمرد على هذه الهيمنة الإشكنازية، هناك صراع بين هذه القوى من اليهود الشرقيين وبين من يريد أن تبقى الثقافة ذات طابع غربي وتحت الهيمنة الأشكنازية.

كثير من الكتّاب الذين جاءوا من العالم العربي والدول العربية والإسلامية في بداية الخمسينات، استمروا يكتبون باللغة العربية ولكن فيما بعد بتشجيع من المؤسسة أصبحوا يكتبون باللغة العبرية، مثل سامي ميخائيل (سمير مارد)، ساسون سوميخ، شمعون بلاص ودافيد صيمح ، وأما سمير نقّاش فقد رفض الكتابة باللغة العبرية وظل حتى وفاته قبل ثلاثة أشهر يكتب فقط باللغة العربية العراقية.

في السنوات الأخيرة يعرف كاتب مثل شمعون بلاص، نفسه مثلاً على أنه كاتب عربي عراقي يكتب باللغة العبرية، هناك أيضاً في السنوات الأخيرة مجموعة من الكتّاب و الشعراء الذين قدموا من شمال أفريقيا و من العراق ودول عربية أخرى، أصبحوا يعودون إلى اللغة العربية ويعودون إلى الثقافة العربية ولكن هذا لا يقتصر فقط على الثقافة إنما هناك صراع بداخل المجتمع الإسرائيلي حول طبيعة الدولة وحول انتمائها إلى الشرق أو إلى الغرب، وهناك أيضاً صحوة بين اليهود الشرقيين أو اليهود من أصل عربي الذين بُتِرت جذورهم في عام ١٩٥٠ عندما جاءوا إلى هنا. والآن يحاول جيل الأبناء والأحفاد حل مشكلة الهوية والانتماء بالعودة مرة أخرى إلى الثقافة وإلى الجذور العربية، ويقود هذا التوجه منظمة عدد من الأكاديميين والمثقفين الإسرائيليين اليهود الشرقيين في اطار منظمة " هكيشت همزراحيت " (القوس الشرقي) وعلى رأسهم بروفسور يهودا شنهاف، د. يوسي يونا، ود. يوسي دهان ومجموعة أخرى تعرف نفسها اليوم وتعرف اليهود الشرقيين بأنهم اليهود العرب.

تتزامن يقظة اليهود العرب التي تنسف مشروع بن غوريون في الصهر الثقافي، تتزامن مع الحضور الثقافي لليهود الروس الذين قدموا في التسعينات ويبلغ عددهم حوالي مليون ونصف المليون وهم مصرون على التمسك بثقافتهم ولغتهم الروسية، انهم لا يتنازلون عن جذور تمتد إلى تولستوي و تشيخوف ومكسيم غوركي وشلوخوف، وهم ينظرون من فوق إلى الثقافة العبرية اليهودية ولذلك يقيمون مؤسساتهم الثقافية: المسرح الروسي " غيشر " (يعتبر من أرقى المسارح في إسرائيل) ومحطة للتلفزيون ومحطات اذاعية وحوالي عشر صحف يومية وأسبوعية.

العودة إلى الثقافة العربية وعدم تنازل الروس عن ثقافتهم أعاد ثقافة أخرى كادت تطمس وهي الأيديش (لغة اليهود في شرق أوروبا، لغة الغيتو اليهودي) قبل حوالي ١٠ سنوات بدأوا يتحدثون عن إحياء لغة الإيديش.

الجيل الذي أنشأ وواصل بناء الثقافة الإسرائيلية خاصة من الكتّاب، هو الجيل الذي مرّ بتجربة أحداث ٤٨، برز في تلك الفترة الكتّاب الذين كتبوا عما حدث عام ١٩٤٨ عن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني ، الحرب ومآسيها ونتائجها مثل س يزهار، أهارون ميغد، يورام كانيوك ومن بين الشعراء يهودا عميحاي وحاييم غوري ونتان يونتان وعدد آخر من الكتّاب الذين شاركوا بالحرب، ولكن بعد الحرب أو بعد النكبة صاروا يستعيدون ما حدث. الملفت للنظر في ما كتبه هؤلاء الكتّاب خاصةً (س يزهار) و (موشيه شامير) إن في كتاباتهم آنذاك شيء من محاسبة النفس وإحساس بالجريمة التي أرتكبت في عام ٤٨. لكن يجب أن لا نخطىء في التقييم، إن هذا الإحساس بما اقترف من جرائم ضد العرب عام ٤٨ لا يعني تماثلا مع معاناة الفلسطينين بل معاناة الإسرائيليين أنفسهم، اذ صورت الجرائم تجسيدا لسلوك فردي وليس لسياسة . س يزهارفي كتابه "خربة خزعة" وصف ما ارتكبته القوات الإسرائيلية في عام ٤٨ وعملية التشريد والقتل في قرية عربية متخيلة أسماها هو "خربة خزعة" وسلوك

الجنود الوحشي ضد أهالي هذه القرية، ولكنه في نفس الوقت لم يكن يملك الجرأة الكافية لأن يقول أن هذه كانت سياسة، ووصفها بانها سلوك بين أفراد أو بين جنود، ولكن لم يكتب عنها أنها سياسة، وحتى اليوم كثير من المؤرخين الذين يكتبون عما حدث بالنكبة لم يكتبوا ذلك بمن فيهم المؤرخ بيني موريس الذي كتب الكثير عن النكبة وما ارتكبته القوات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني في عام النكبة... لم يكتب في كتبه هذه.. أن هذه كانت سياسة، وإنما كانت مجرد سلوك انحرافي لضباط هنا وضباط هناك، مع أنه قبل سنة في مقابلة بـ "هآرتس" قال: الآن اكتشفت فقط أن هناك كانت سياسة، وبدأ يبحث عن المصادر والوثائق التي تؤكد على وجود هذه السياسة، هكذا كان أيضاً بالأدب والقصص والروايات التي كُتبت، وكتَبَ كثير عما حدث في ٤٨. ولا مجال هنا للحديث عن نماذج واضحة كانت تُمجّد الحرب وتُمجّد روح العسكرة، فهذا موجود في كتاب دان ياهف "ما أروع هذه الحرب" الذي صدر مؤخرا عن مركز "مدار" ولكني أتحدث عن كتابات هي تبدو وكأنها إنسانية، وتبدو وكأنها تُنصِف الطرف الآخر، وعن صحوة الضمير ولكن في نهاية الأمر هناك سقف لهذه الكتابات، لهذه المواقف ولهذه الصحوة، هذا السقف يتحدد عندما يطرح السؤال: هل الجريمة كانت مخططة ؟ هل كانت تجسيدا لسياسة أم سلوك أفراد؟

لفهم أسلوب وطريقة تمويه هذا السؤال لا حاجة للعودة الى عام النكبة، فان النظر الى ما يحدث اليوم وفي أثناء الانتفاضة يمكن أن يوضح لنا عن هذا الأسلوب، فعندما تُرتكب جريمة بشعة وتُثار حولها عاصفة في الرأي العام، تحول الأجهزة الأمنية والإعلامية البحث من التحقيق في الجريمة باعتبارها جريمة الى السؤال في ما اذا ارتكبت عملية حسب التعليمات أو الأوامر أو هل هي سلوك شخصي، وعادةً عندما يجري التحقيق في داخل الجيش يذهبون إلى تحقيق شخصي ويؤكدون أنه سلوك شخص، "لا يعبر عن نهج وسياسة".

الثقافة الإسرائيلية، من حيث أدواتها ووسائلها هي ثقافة متطورة جداً. الصحافة ووسائل الاتصال عصرية بكل معنى الكلمة، الأدب الرواية والقصة والشِعر، هناك كتّاب وهناك شعراء مبدعون يكتبون بمستويات راقية جدا، وهكذا أيضا في المسرح والسينما والتلفزيون. ويخطيء من يدعي أنه لا توجد ثقافة إسرائيلية ولا توجد ثقافة عبرية وهي ليست ذات مستوى، هذا غير دقيق، يوجد ثقافة متطورة في إسرائيل والدولة تهتم بتطوير ودعم هذه الثقافة في الجامعات والمراكز والمؤسسات التربوية، أرباب الدولة يهتمون جداً بثقافتهم لأنهم يعرفون أهمية الثقافة وتأثيرها على وجودهم وفي عملهم السياسي وتأثيرهم على العالم...يعملون كثيراً للترويج لهذه الثقافة العبرية، ولترجمة هذه الثقافة في العالم، هناك معهد ترجمة الأدب العبري في رمات جان، يترجم النصوص، ويترجم الأدب العبري إلى حوالي ٤٠ لغة من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب. هناك روايات تصدر في تل أبيب وتصدر في نفس الوقت أيضاً في لندن، باريس، ايطاليا. هناك مؤسسات تهتم بنشر الثقافة العبرية في العالم، بأن تنشر بالعالم، الإنسان الإسرائيلي أيضاً قارىء ويشتري الكتاب، وعندما يصدر كتاب لرموز هذه الثقافة مثل عاموس عوز وأ ب يهوشواع ودافيد غروسمان ومئير شاليف وسامي ميخائيل فانها توزع بحوالي سبعين الى ثمانين ألف نسخة ، بالنسبة لهم توزيع الكتاب هي مصلحة قومية يعملون من أجلها... عندما يصدر كتاب، تتناوله جميع الصحف وتعقد حوله ندوات بالجامعات، وبالمراكز الثقافية والمكتبات العامة، وفي كل عام ينظم معرض الكتاب العبري وتجري نشاطات عديدة قبل معرض الكتاب، لقاءات مع كتّاب، ليس فقط في المدن الكبيرة كذلك في الكيبوتسات والمدن الصغيرة...

في إسرائيل ٥ ملايين فقط يقرأون اللغة العبرية ويستوعبون هذه الكمية من الكتب، ومثل هذه النسب العالية هناك استهلاك لنتاجات المسرح والسينما، وهذا يعني ان المجتمع الإسرائيلي يولي اهتماما كبيرا بثقافتهم. هذا الاهتمام ناتج من تربية على ان الثقافة هي شيء مركزي في حياة الإنسان الإسرائيلي واليهودي، ولكن بدون أي شك هناك عدد من المشاكل التي تواجه المثقف... ليس مشاكل شكلية أو تقنية... المشاكل التقنية محلولة، أعتقد أن المشكلة الأساس عند كل مُبدع إسرائيل هي المشكلة الأخلاقية... وفي لقاءاتنا مع الكتّاب والمثقفين الإسرائيليين هم يكونون على استعداد للتحدث عن كل مسألة إلا المسألة الأخلاقية، والكاتب أو المثقف المطالب عملياً أن يكون مستقيماً، وفي حالة طمأنينة مع نفسه ومع ذاته، تحدث فيه القضية الأخلاقية خللا وتضعه في مأزق، مأزق الكاتب أو المثقف الإسرائيلي هو ما حدث في ٤٨ أي أنه أقام دولته وأقام وجوده وكيانه على أنقاض شعب آخر، في هذه الحالة هناك إمكانيتان... إما التنكر لما حدث، وهذا يفعله

مسألة صراع المثقف وصراع المبدع، ومراجعة التاريخ ومراجعة الذات والارتباط بـ الهولوكست، وجميع المواضيع المتعلقة بالأخلاقيات، في المجتمع الإسرائيلي هي مسألة هامة جداً وأساسية في قراءة المجتمع الإسرائيلي ثقافياً وسياسياً واجتماعياً، لأنه ما دامت بعيدة عنه وعن حساباته فهو مرتاح، يعني الإسرائيلي الذي لا تُذّكره بما حدث في ٤٨ ليس عنده مشكلة، فقط عنده مشكلة عندما يصطدم فيها... وعندما يقول اسحق لاؤور: هذه قضية وضعوها جانباً.. أزاحوها، لأنها ظلت ضاغطة بالضمير، بالوعي وبالوجدان الإسرائيلي، ستسبب مشكلة قوية جداً

كثيرون، يبعدون هذا التاريخ من حياتهم ومن فكرهم ووجدانهم ويتعاملون معه كأنه لم يكن إلى أن يذكروا به، ولكن هناك من لا يستطيع الهروب مما حدث في ٤٨ ويتمأزق بأن يدخل في إشكالية تبرير أو فهم أو عدم التبرير ولكن من خلال خوف مبطن على أن ما حدث في ذلك الوقت هو أيضاً كابوس يلاحقه وأعتقد أن كتّابا حتى مثل دافيد غروسمان و اسحق لاؤور وغيرهم، ذهبوا لأبعد من ذلك، وحاولوا مواجهة هذه المشكلة وهذا المأزق، ولكن ليس بسهولة... وإذا كان هناك حوار فلسطيني إسرائيلي على مستوى ثقافي وفي المواضيع الثقافية، فهذا الحوار لا بد أن يتمحور حول قضية أخلاقيات الإنسان الإسرائيلي والمجتمع الإسرائيلي.

مسألة صراع المثقف وصراع المبدع، ومراجعة التاريخ ومراجعة الذات والارتباط بـ الهولوكست، وجميع المواضيع المتعلقة بالأخلاقيات، في المجتمع الإسرائيلي هي مسألة هامة جداً وأساسية في قراءة المجتمع الإسرائيلي ثقافياً وسياسياً واجتماعياً، لأنه ما دامت بعيدة عنه وعن حساباته فهو مرتاح، يعني الإسرائيلي الذي لا تُذّكره بما حدث في ٤٨ ليس عنده مشكلة، فقط عنده مشكلة عندما يصطدم فيها... وعندما يقول اسحق لاؤور: هذه قضية وضعوها جانباً.. أزاحوها، لأنها ظلت ضاغطة بالضمير، بالوعي وبالوجدان الإسرائيلي، ستسبب مشكلة قوية جداً. وهناك أصوات من المثقفين والمبدعين الإسرائيليين الذين يطالبون بوضعها على الطاولة، حتى وإن كانت مؤلمة بالنسبة لهم أو بالنسبة لُلإسرائيلي العادي. ويقولون انه لا يمكن أن نتقدم أو نخلص من هذه الحالة بالأساس النفسية الصعبة إلا إذا اعترفنا بها، ولهذا السبب في موضوع المسؤولية عما حدث في ٤٨ النكبة وكذلك عن حق العودة، هناك كثير من المثقفين والأكاديميين الإسرائيليين الذين يقولون يجب الاعتراف بحق العودة... خلافاً للاتجاه السائد في المجتمع الإسرائيلي، وطبعاً خلافاً لكل سياسات حكومات إسرائيل. ونحن في معهد "إميل توما" في السنة الماضية في آذار عندما عقدنا بحيفا مؤتمر عن حق العودة،كان ٥٠ ٪ من المشاركين والحضور أي حوالي ٢٠٠–٢٥٠ من اليهود، وتحدث في المؤتمر محاضرون يهود، واليهود الذين حضروا المؤتمر لمدة يومين وفيما بعد قاموا بجولة في القرى المهّجرة ، خرجوا منفعلين مما سمعوه وشاهدوه، فقد أصغوا الى لاجئين في وطنهم وفي منفاهم وعرفوا أيضا حقيقة الموقف الفلسطيني من حق العودة ومعاني النزوح والعودة،... وكان مؤتمرا أكاديميا وقد انضمت ثلاث جمعيات يهودية لتكون شريكة في إعداد المؤتمر القادم.

ما أريد أن أقوله هنا، هو أنه يجب أن لا نخاف ولا نخشى من مخاطبة الإسرائيليين حول موضوع حق العودة وما حدث في ٤٨... غير صحيح أن نؤجل هذا الموضوع في المفاوضات مع الإسرائيليين ومن الضروري أن يُقال للإسرائيليين أن ما لا يتم الحديث حوله اليوم سنتحدث به في ظروف أسوأ في المستقبل.

كيف ستتطور الثقافة الإسرائيلية، وما هو موقعها..؟

القضية ليست فقط ما هو مستقبل الثقافة الإسرائيلية العبرية اليهودية في الشرق، القضية هي مستقبل اليهود في الشرق، يوجد ٥ ملايين يهودي بين ٣٠٠ مليون عربي، عملياً كل إسرائيل تساوي واحدا من أحياء القاهرة، هل يمكن أن نضع الخمسة ملايين مقابل الـ ٣٠٠ مليون؟ يمكن من الناحية العسكرية

والقنبلة الذرية ، ولكن الثقافة لن تحسمها القنبلة النووية... فيحسمها الوجود الإنساني وموقع الإنسان في مكانه، علاقته بالمكان وعلاقته بالجغرافيا وبالفضاء الذي يعيش فيه، أنا في اعتقادي... أن مستقبل اليهود في الشرق هو أن يكونوا جزءاً من العالم العربي... كيهود أنا لا أقول كدولة... فهذه قضية سياسية... اليهودي الذي يريد أن يبقى في الشرق، أن يبقى في هذا المكان، يجب أن يختار هو اما أن يكون جزءاً من هذا المكان، يعني أن يكون من هذا الفضاء..اللغة العربية، الثقافة العربية، وفي نفس الوقت هو حقه أن يحتفظ بلغته وثقافته وديانته، أو أن يختار العزلة والاعتزال ويبني الغيتو اليهودي في هذا الشرق.

في عام ١٩٧٩ عندما بدأت أحاور الكتّاب والمثقفين العبريين ،أدركت في ذلك الوقت ما هي الحالة النفسية التي يعيشها الكاتب الإسرائيلي ولاحظت أن كثيرين منهم كان يقلقهم الحديث عن السلام العادل في المنطقة، والبعض يخاف من السلام العادل في المنطقة لسببين، السبب الأول: أن السلام العادل يفتح إسرائيل على العالم العربي، ويفتح الإنسان اليهودي الذي يعيش في هذه البلاد على العرب. وبالتالي سيؤدي إلى تأثير أكبر بكثير للثقافة العربية على اليهودي وعلى المجتمع الإسرائيلي وهذا ما يرفضه الكثيرون لأنهم يريدون لهذه الثقافة أن تكون ثقافة غربية وليست شرقية أو عربية، وقد قرأنا بعد اوسلو مقالات لمثقفين إسرائيليين ضد السلام لأنهم ضد الانفتاح ومنهم ناقد مهم جداً (مناحيم بين) كتب مقالا أكد فيه بكل وضوح: أنا ضد هذا السلام... لأنني لا أريد أن أكون جزءاً من الشرق...أن أكون مفتوحا عليه...وأخاف على ثقافتي الغربية الراقية من تأثير هذه الثقافة الشرقية....

في ذلك الوقت وعبر هذه الحوارات أدركت عمق الصراع الأخلاقي الذي يواجهه المثقف الإسرائيلي واسمحوا لي أن أختم محاضرتي بما كتبت في ذلك الوقت تحت عنوان "كاتب غضب" نشر لاحقا بكتاب بعنوان "كاتب غضب". وهو عبارة عن مونولوجات لشخصيات إسرائيلية تتحدث عن نفسها... يقول الكاتب الإسرائيلي:

وُلدت في مطلع ايلول في ١٩٣٩، كانت النار الأولى قد اشتعلت في بولندا، والبارجة الألمانية شيلزفيج هولشتين فتحت نيرانها في ساحل بحر البلطيق، والفيرمخت (القوات النازية البرية) كانت تتوغل في أراضي بولندا، حملني والدي وهربنا، إلى أن حطت أقدامنا في ميناء يافا. كَبرت في بيت عتيق. أذكر أنني كنت في الخامسة من عمري، سمعت إنفجاراً لأول مرة، قالت لي أمي، إنك لا تذكر الانفجارات التي سمعناها في بولندا، إنها ما زالت ترن في أذني، أنت لا تذكر شيئاً، هذا الانفجار أكاد لا أسمعه، هذا لعب أطفال. ظننت أن أمي تسخر مني، لم تهتز لسماع أزيز الرصاص وانفجار القنابل، تأثرت كثيراً وخفت وأردت أن أطلب من أمي أن نعود إلى بولندا، لكنني عدلت عن موقفي، بعد أن سمعتها تتحدث عن مصير عمتي وخالتي وابن عمي... وكَبرت في ساحة الدار مع طفلين صغيرين، الأول اسمه ماجد والثاني رافع، ولما ازدادت الطلقات وأصبح الأزيز يصم الآذان وأمي تسمع الانفجار غاب عني ماجد ورافع، وبقيت الساحة وبقيت وحيداً ألعب مع أطفال لم أعرفهم من قبل... وانتقلنا إلى بيت أوسع وإلى ساحة فيها حديقة وشجرة وارفة الظلال...

لست أدري إذا كان هناك من يحسدنا نحن الكتاب الشباب، نحن الذين ولدنا في أحلام غيرنا ممن انتظروا هذه الأيام من ألفي عام، نحن كتاب نبحث عن البطل في قصصنا وروايانا، قصصنا بدون أبطال لأن أبطالنا سقطوا في واقعنا، ويسقطون في رواياتنا. تصّور لو أنني كتبت قصة حب، فكيف لا أذكر فيها ما حدث لـ راحيل هيلر أو للجندي الذي لم ينتحر قبل أن يُطلق الرصاص على حبيبته، أتُصّدق أن هذا الغرام هو عشق روحاني أو عاطفي نكتب عنه لنمجّد البطل العاشق الولهان الإسرائيلي. ونقول للأجيال القادمة أننا نملك القدرة على التسامي بالعشق الى آفاق الفن والإبداع والخلود، هل تصدقني لو قلت لك هذا الكلام... ماذا تريدني أن أكتب عن قصص الحب؟ هل تريدني أن أحّول هؤلاء إلى أبطال؟ أن أكتب عنهم؟ أن أنقل بطولاتهم إلى الأمم؟... أن أتركها للتاريخ ليحتفظ بها... ويذكُرها الأجيال القادمة... هل تحسدني يا صديقي على أبطال قصصي..؟ هذه القصص الدرامية المشوقة، مهما حاولنا أن نكون صادقين في تصويرها فإنها عنيفة في الواقع بحيث نعجز مهما كُنا بارعين عن تصويرها، فنظل مقصرين متخلفين، نكتب بأحاسيس مكبوتة... أننا لا نستطيع أن نصور الواقع بما هو فوق الواقع... وفي الوقت نفسه نحس أننا لا نقوى على تغييرها.. هذا يجعلنا نتحرك في دوائر مفرغة... لا مخرج منها. هل تملك أنت القدرة على التغيير؟ غريب أمرك، وكيف؟!